العرب
الإثنين 2020/02/17
السنة 42 العدد 11620

دروس في الرقص لشيخ سبعيني مسكون بالعفاريت

ترجمة عربية لنوفيلا فانتازية للكاتب التشيكي الأشهر بوهوميل هرابال

يعد الأديب التشيكي بوهوميل هرابال (1914 – 1997) واحدا من أفضل ممثلي الأدب التشيكي في القرن العشرين، وأكثرهم ترجمة إلى اللغات الأجنبية. لكن يتطلب فهم هرابال أكثر من مقاربة خاصة وأنه يشتغل كثيرا على الفلسفة وتوليد تقنيات سردية خارجة عن المألوف، ما يجعل من ترجمته مغامرة وتستحق أكثر من مقاربة.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

قام الدكتور خالد البلتاجي مؤخرا بترجمة عمل سردي مختلف في أسلوبه للكاتب التشيكي بوهوميل هرابال (1914 – 1997) بعنوان "دروس في الموسيقى للمسنين"، وصدرت الترجمة الجديدة عن دار المحروسة، قدم لها المترجم حول ظروف كتابة هذه النوفيلا وإعادة كتابتها.

صدرت نوفيلا "دروس في الرقص للمسنين" للأديب التشيكي بوهوميل هرابال للمرة الأولى عام 1964، وفور صدورها صارت من أكثر الكتب مبيعا، وجاوزت مبيعاتها نصف مليون نسخة في دولة لا يزيد عدد سكانها عن عشرة ملايين نسمة. لكن نسختها الأولى كانت قد ظهرت عام 1949 بعنوان "آلام قيرثر العجوز". واتخذت شكلا سرديا جامدا بطلها العم "بيبين" الذي كان يملي على الأديب فيكتب ما يقوله على الماكينة مباشرة، وأطلق عليها في البداية "بروتوكولات".

لكن وبعد نجاح أولى مجموعاته القصصية عاد هرابال إليها لتعديلها ويعترف بذلك قائلا "بعد أن عرفت معنى الكولاج والرولاج، وتعرفت أيضا على تقنية السينما، قطعت الإعلانات والدعاية وضفرتها بالنص، أكدت على ما كان تائها في النص، ومنحته أسلوبا، قطعت ما قاله العم 'بيبين'، وتخطيته، وحكيت من حيث انتهى هو...، ثم أعدت ما كتبته، وقدمته إلى لجنة البحث عن عمل مقبول".

أسلوب كتابة

يعتبر هرابال العم "بيبين" هو من أوحى له بطريقته السردية، وقد ظهر كراو أو إحدى شخصيات هرابال في أعماله الأخرى، إذ ظهر "بيبين" في أعماله النثرية من فترة السبعينات بصورة خاصة، يتذكر فيها طفولته في مدينة نيمبورج التشيكية، ووالديه، وكل الأجواء التي كانت سائدة.

ويرى البلتاجي أنه في نوفيلا "دروس في الرقص" تظهر السمات الأساسية التي ميزت كتابات هرابال التالية، وقيمه الفلسفية والأدبية والثقافية التي اتكأ عليها. فقد تأثر بالمنهج الإبداعي لهاشيك، السرد المؤسس على حكايات المقاهي، لكن تعددت مصادر الإلهام والإبداع التي نهل منها هرابال، من بينها كتابات الفيلسوف التشيكي لاديسلاف كليما وتصوراته عن لعبة الأمم، أي اللعبة التي بني عليها العالم، وكتابات آرثر شوبنهاور والتأكيد على قضية الدافع والميول الجنسية في إنتاج فنية السرد ذروته.

تأثر الكاتب كذلك بالسريالية التي تعظم دور الفنتازيا، وبجيمس جويس وتقنية "تيار الوعي"، و"فرانسوا رابليه"، وتأكيده على التواصل المستمر بين الأعلى والأدنى. لذا كانت "دروس في الرقص" من أوائل أعمال هرابال التي أبدع فيها بصورة كاملة نصا سرديا يقدم شهادة بضمير المتحدث الراوي، استخدم هذا النوع من الكتابة طوال السبعينات والثمانينات، حيث سيطرت كتابات السيرة الذاتية عليه كما في "الحزن المبهج"، أو طرح الأديب رؤيته عن العالم على لسان أمه كما في "الحلاق"، أو على لسان معزولين حالمين كما في "خدمت ملك إنجلترا"، أو "عزلة صاخبة للغاية".

ويلفت البلتاجي إلى أن تصدير هرابال للنوفيلا بمقتطف من كتابات الفيلسوف التشيكي لاديسلاف كليما التي يتخذها شعارا لهذه المقطوعة النثرية، يؤكد على التأثير المتبادل بين الأضداد، وينتهي المقتطف بأن النصر مبتدأه القهر. ويضيف "يستخدم هرابال تقنية تجريبية سريالية، جملة سردية لا تنتهي 'تنتهي بثلاث نقاط' عمادها مونولوج، الراوي رجل ثرثار، وهو البطل التقليدي عند هرابال، رجل تعلم حرفة الإسكافي، وصناعة البيرة، ولم يمنعه هذا من ممارسة أعمال أخرى، تجول في كل أرجاء الإمبراطورية النمساوية المجرية، يتذكر منها تفاصيل مثيرة للانتباه، كما يلعب بطله دور الفيلسوف الشعبي 'مناصر عصر النهضة الأوروبية'، الذي صنع لنفسه نظاما تتوالد فيه الأفكار من تلقاء نفسها، وتتداعى، وتتداخل.

راوي النوفيلا بطل عجوز في السبعين، لكنه "مسكون بالعفاريت"، يعلن في كل مكان عن احتفائه بنصره الدائم المبين. وفضلا عن قصصه الجنسية العنترية، نجد متسعا لذكريات الخدمة في "أجمل جيوش العالم"، وذكرياته عن الحياة إبان ما يسميه "الحكم النمساوي".

البطل الساخر

يشير البلتاجي إلى أن النص يتلون بلون كوميدي ساخر لأحداث من التاريخ المسيحي "دعوا السيد المسيح لحضور حفل زواج، وأسرف في شرب الخمر، فتبدل النبيذ في أيديهم إلى ماء، وتلك كانت معجزته في قانا الجليل"، أو نوادر من حياة الإمبراطور مع عشيقته كاترينا شراتوفا حيث يقول "استطاع ذلك القيصر أن يولي رعاية لفن النهضة الأوروبية مع شراتوفا". كما يذكر تفسيرات لأحلام يتفق أو يختلف معها "كلما راود أحدهم حلم بأن حبات الخيار تتداعى عليه من الطبق، يفسرونه على أنه يعني جماع جامح"، ونقرأ أيضا بعض التفسيرات الفنية والجمالية المثيرة للدهشة التي تأتي على لسان صديقه الشاعر بوندي.

الأمثلة الكثيرة المتداخلة تجعلنا نقر بأن الكتاب الجيد ليس هدفه أن ينام القارئ في هدوء، لكن أن يثب من سريره، ويهرول مرتديا سرواله التحتاني ليصفع الأديب على وجهه.

ينتهي العمل الأدبي بمقطع سردي يخبرنا فيه البطل أن كل ما قاله موجه إلى سيدة اسمها "كاميلا" وهي التي تقطف حبات الكرز، وأن الراوي رجل عجوز "يحمل لها كل يوم وردة، يقطفها من حدائق الغرباء"، لم يرد اسمه في النص، لكن ما استقر في ضمائر الناس بناء على التعليقات التي كان الأديب يرددها أن مصدر الحكايات عم بوهوميل هرابال المدعو "بيبين"، الذي قال عنه هرابال إنه "كان قادرا على إضحاك الناس بصورة هستيرية، وكلما سألوه عما يتمنى أن يكونه يجيب على الفور إنه يريد أن يكون مصابا بالصرع، فمكانة هؤلاء في الهند عظيمة، والبعرة تدل على البعير".

الرقص والكلام إعادة تشكيل للعالم (لوحة للفنان بسيم الريس)

ويضيف البلتاجي أن هذه المقولة تفسر لنا سحر وتفرد نوفيلا "دروس في الرقص"، فالتقنية الأساسية هي ازدواجية المعاني وتعددها والتباسها كلما تعلق الأمر بكلمات وعبارات وصور فضفاضة في المعنى، أو تصادم الطبقات الدلالية في النص، وهي الأشتات التي يجمعها الأديب على طريقة الكولاج. فالراوي يشاركنا قيمه في الحياة بطريقة تقليدية، ويتحدث عنها على سبيل التندر، لا أكثر. لذلك نجده ينتقل هرولة من فكرة إلى أخرى، ومن تصور إلى آخر، فيصاب حديثه بثغرات طبيعية، وتخرج الصور والكلمات عن سياقها المعهود.

كلام الراوي العم "بيبين" يوافق طبعه، فهو كلام مرسل ومنفتح على العالم والبشر، يتقبل كل شيء من حوله بصدر واسع رحب، يسعد بكل شيء ولكل شيء، يقول مثلا "آه، يا إلهي! كم هي جميلة الحياة! إلى حدّ الجنون".

> التقنية الأساسية في النوفيلا هي ازدواجية المعاني وتعددها والتباسها كلما تعلق الأمر بكلمات وعبارات وصور فضفاضة

يرى "بيبين" أن كل ما تنتجه الحياة صالح لكي يعاد تشكيله بالكلام، وأن الكلام أكثر واقعية من الواقع نفسه، فهو يرى أن الحقيقة الوحيدة في ما حدث هو ما حفظه الكلام الذي لا يمكن إخفاؤه أو طمسه أو السيطرة عليه. هذا ما يفصح عنه شعار الكتاب ومقدمته، وتصبح قواعد اللعبة في هذا السرد "حيزا وجوديًا مترامي الأطراف وميتافيزيقيا بصورة مباشرة".

الحكي إذن قائم على لعبة يحوّل فيها الراوي "بيبين" البكاء إلى ضحك، تتضافر هذه التقنية السردية مع مفردات لغوية من بيئات محلية خارج المراكز الثقافية الكبرى، هذه المفردات تقوي من طبيعة النص الكلامية، ويشكلان معا وهما يتطلبه الموقف الروائي، إنها أساليب مثل ضمائر الإشارة، وأداة العطف "واو"، التي تساعد على انفراط الوصف وتدفقه في تيار الحكي المتصل والمتواصل، واستخدام ألفاظ محلية غالبيتها ذات أصل ألماني، ومن حِرَف مختلفة.

دار الشعر في تطوان تختتم معرض البيضاء

الدار البيضاء (المغرب) – اختتمت بمدينة الدار البيضاء فعاليات ليالي الشعر التي أقامتها دار الشعر بتطوان، ضمن البرنامج الثقافي للدورة الـ26 من المعرض الدولي للنشر والكتاب في المغرب.

وأقيمت الليالي في القاعة الكبرى للمعرض، الذي اختتم مساء الأحد، وحضرها المئات من عشاق الشعر ووزراء ومسؤولون يتقدمهم حسن عبابة وزير الثقافة والشباب والرياضة الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية وعبدالله العويس رئيس دائرة الثقافة في حكومة الشارقة ومحمد القصير مدير إدارة الشؤون الثقافية.

وبعد الليلة الأولى التي استهلها الشاعر خورخي طوريس ميدينا، أحد أشهر شعراء أميركا اللاتينية، إلى جانب المتوكل طه من فلسطين ومحمد بنطلحة وأمل الأخضر والإسبانية راكيل لانثيروس، شارك في الليالي الموالية شعراء من أوروبا وآسيا وأفريقيا، في طليعتهم شاعر بلجيكا لهذه السنة كارل نوراك والشاعرة الإنجليزية المخضرمة ليندا فرانس، إلى جانب آمال موسى من تونس وشعبان يوسف من مصر وعبدالهادي سعدون من العراق، وسيدي ولد الأمجاد وجاكيتي سك وليلى شغالي وأبوبكر ولد بلال من موريتانيا.

> شعراء عرب ومغاربة وعالميون قدموا قصائدهم في حوار مع الموسيقى ضمن فعاليات معرض الدار البيضاء للكتاب

ومن المغرب شارك الشعراء حسن الوزاني وأحمد عصيد وعبدالمجيد بنجلون وميمون الغازي وياسين عدنان وسكينة حبيب الله.

وتفاعل جمهور دار الشعر في معرض البيضاء مع أجيال وأشكال شعرية جديدة ومتنوعة، كما استمتع بروائع الشعر العمودي المعاصر، مع الشعراء الموريتانيين، وتجربة الشاعر الفلسطيني المتوكل طه.

مثلما استمتع الجمهور بحوار ما بين القصائد الشعرية والوصلات والمقطوعات الموسيقية التي قدمها أساتذة الموسيقى العربية من تطوان والدار البيضاء. بينما قدم هذه الليالي شعراء وفنانون مغاربة، في مقدمتهم مارية راشا ومحمد بشكار ونورالدين بازين وعبدالرحيم الخصار.

وبحضور شعراء عالميين في حوار مع الشعراء العرب والمغاربة المرموقين، تمكنت دار الشعر بتطوان من إطلاع شعراء العالم على تجربة بيوت الشعر العربية، وعلى تجارب الشعر الجديدة في المغرب والعالم العربي.

وفي اليوم الأخير من مشاركتها في معرض البيضاء، أعلنت دار الشعر بتطوان، رفقة شبكة القراءة في المغرب، عن جائزة الشباب للكتاب المغربي، في صنف الشعر.

وهي الجائزة التي آلت للشاعر المغربي الراحل محمد الميموني، عن ديوانه "بداية ما لا ينتهي"، حيث اختاره العشرات من القراء الشباب كأفضل ديوان من بين عشرة دواوين أخرى تم ترشيحها لهذه الجائزة.

وتسلمت الجائزة من وزير الثقافة المغربي أرملة الراحل الأستاذة فوزية الدعلي رفقة ابنه رياض الميموني، في لقاء حضره عدد من الوزراء، وشهد تقديم عدد من الجوائز الخاصة بالقراء الشباب والأطفال، مع جوائز أخرى لفائدة أندية القراءة في مختلف جهات المغرب.

وتحيي دار الشعر بتطوان ليالي الشعر في معرض البيضاء منذ أربع سنوات، من خلال تنظيم أربع ليال شعرية، بمشاركة شعراء عبر العالم.

وتعد هذه الليالي من الفقرات الكبرى في البرنامج الثقافي لمعرض البيضاء، وهي تتوج في كل مرة يوما كاملا من التردد على أروقة دور النشر ومتابعة العروض والندوات الثقافية والأدبية والفكرية.

سكينة حبيب الله من شاعرات الليالي

كتّاب المغرب العربي يهيمنون على جائزة الطيب صالح

الخرطوم – هيمن كتاب المغرب العربي على فروع جائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي في السودان في دورتها العاشرة التي اختتمت أعمالها هذا الأسبوع.

وفاز بالمركز الأول المغربي عبدالباسط زخنيني عن رواية "الغراب" بينما جاءت بالمركز الثاني الليبية غالية يونس الذرعاني برواية "قوارير خاوية" وحل ثالثا المغربي السعيد الخيز عن رواية "ابن الصلصال".

وفي فرع القصة القصيرة، فازت بالمركز الأول المغربية فتوى أحمد الحمري عن المجموعة القصصية "ليلة تجلي"، وجاءت بالمركز الثاني اللبنانية رجاء عبدالحميد نعمة عن مجموعة "عاشقات سوقطرة"، فيما حل السوداني شاذلي جعفر شقاق في المركز الثالث عن مجموعته "كشاكش على ثوب الشفق".

وفي فرع الدراسات النقدية والذي كان موضوعه هذا العام "السرد النسوي" فاز بالجائزة الأولى العراقي فيصل صالح القصيري عن دراسة "أنثوية السيرة الذاتية/ قراءة في سيرة فدوى طوقان الذاتية".

وجاء في المركز الثاني المصري محمود فرغلي علي موسى عن دراسته الموسومة بـ"كتابة الذات وشعرية المقاومة – رضوى عاشور نموذجا"، بينما حل في المركز الثالث العراقي عبدالكريم يحيى الزيباري عن دراسته "شهرزاد العواصم العربية – سوسيولوجيا السرد النسوي".

وقال الناقد السوداني مجذوب عيدروس الأمين العام للجائزة في حفل إعلان وتوزيع الجوائز بقاعة الصداقة في الخرطوم "هذه الدورة هي دورة استثنائية باعتبارها الدورة العاشرة لهذه الجائزة التي تحمل اسم عبقري الرواية العربية، الطيب صالح، الذي هو عندنا رمز للإنسان السوداني في بساطته وتواضعه وعمقه في آن واحد".

> الدورة العاشرة للجائزة تعتبر استثنائية سواء في عدد المشاركين في فروعها أو في الجو العام الذي طبعها

وأضاف "دورة هذا العام حفلت بأعلى نسبة في المشاركات إذ بلغ عدد الأعمال المترشحة 746، توزعت بين الرواية والقصة القصيرة والدراسات حول الكتابات النسوية، وبلغت الروايات المشاركة 392 عملا، والمجموعات القصصية 300 مجموعة، و54 دراسة نقدية".

وكرمت الجائزة في دورتها العاشرة الأكاديمي السوداني مالك بدري.